

هندام الإسلام وهندام الحداثة ومسألة الخلاص

توفيق فائزي

باحث مغربي



قسم الدراسات الدينية

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved
Mominoun Without Borders

الاستعانة بالهندام، يقول: "واعلم أن تلك الأفعال للأقدمين، إنما كانت بالهندام واجتماع الفعلة وكثرة الأيدي عليها، فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع"⁽¹⁾

وهو في هذا القول يرجع التشييد في جزء منه إلى الاجتماع وكثرة الأيدي وفي جزء منه إلى الهندام؛ فالأجسام التي تتحول إلى آلات أثناء البناء لا يمكن أن تفسر بما يكفي ما شيد من البنين. لأجسام البشر امتدادات آلية تستقوي بها، وبهذا يبلغ ابن خلدون إلى الكشف عن سر من أسرار الحضارات، وهو هندامها الذي يفسر شدة وعظمة أبنيتها وإتقانها، فيفسر تفسيراً يراعي منطق التاريخ ومنطق الطبيعة كليهما، يقول: "وإنما مثار غلظهم في هذا أنهم استعظموا آثار الأمم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون، وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصرفوه إلى قوة الأجسام وشدها بعظم هياكلها، وليس الأمر كذلك"⁽²⁾.

نعثر لابن خلدون على مثال مثل به على مكون من مكونات الهندام، وهو المحال، يقول: "قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها، وأنها تكون على نسبتها. وذلك أن تشييد المدن إنما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم، فإذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشر الفعلة من أقطارها، وجمعت أيديهم على عملها. وربما استعين في ذلك في أكثر الأمر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل أثقال البناء، لعجز القوة البشرية وضعفها عن ذلك كالمحال وغيره"⁽³⁾

نتوغل أكثر في حقيقة الهندام ونبلع إلى ما نعتبره الجوهر، وهو معنى التقدير، فتلك العدد والآلات لم تكن لولا تقدير المهندس لصناعتها قصد تأدية وظائف لا تستطيعها الأجسام، وبهذا تكون روح الهندام هي تقديرات الأذهان، فيكون المكون النظري المحتوي للآلات النظرية أفضل ما يستحق اسم الهندام. ونمثل بألة نظرية هي الهندسة، وهي الآلة التي ينتظر من البناء أن يكون ملماً ببعض مسائلها، يقول ابن خلدون: "وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة، مثل تسوية الحيطان بالوزن وإجراء المياه بأخذ الارتفاع، وأمثال ذلك، فيحتاج إلى البصر بشيء من مسائله"⁽⁴⁾

الآلة ذاتها نتاج من نتائج تقديرات ذهنية هندسية، إنها حيلة ذهنية هندسية تجسدت، وسميت الآلة حيلة لذلك، يقول ابن خلدون في هذا المعنى: "وكذلك جر الأثقال بالهندام، فإن الأجرام العظيمة إذا شيدت بالحجارة الكبيرة تعجز قدر الفعلة من رفعها إلى مكانها من الحائط؛ فيتحيل لذلك بمضاعفة الحبل بإدخاله في المعالق من

¹. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة، 2004، 245/2

². ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، 546/2، ويدخل ابن خلدون اعتبار الزمن والتعاقب أيضاً، فبعض الهياكل لا يستطيع بناؤها في زمن دولة واحدة، بل تحتاج إلى دول متعاقبة يقول: "والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء إلى التعاون ومضاعفة القدر البشرية، وقد تكون المباني في عظمها أكثر من القدر مفردة أو مضاعفة بالهندام كما قلناه فيحتاج إلى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمنة متعاقبة إلى أن تتم، فيبتدئ الأول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث، وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في الفعلة وجمع الأيدي حتى ليتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ماثلاً للعيان، بظنه من يراه من الآخرين أنه بناء دولة واحدة" مرجع سابق، 784/2

³. نفس المرجع، 782/2

⁴. نفس المرجع، 868/2

أقناب مقدرة على نسب هندسية تصير الثقيل عند معاناة الرفع خفيفاً فيتم المراد من ذلك بغير كلفة، وهذا إنما يتم بأصول هندسية معروفة متداولة بين البشر⁽⁵⁾

بلغنا إذناً إلى ما نعهده **جوهر الهندام**، وهو تقديرات الأذهان، ويتميز لدينا أمران في الهندام: ما نعتبره حصيلة وما نعتبره عملاً، فيمكن أن نعرف الهندام بأنه جملة العدد والآلات النظرية والصناعية التي ينفذ بها الإنسان في الأقطار، ويعبد بها سبل العالم، ويتجاوز بها ما يعترضه من العوائق، ويتغلب بها على المستعصيات، وقد نعرف الهندام بأنه عمل التقدير ذاته قصد النفاذ في الأقطار.

ويتعلق الأمر إما بعالم الأذهان، ويمكننا بذلك أن نتكلم عن أقطار الذهن وسبله ومستعصياته، وإما بعالم الأعيان فننتحدث عن الجوانب والسبل والمستعصيات أيضاً. وقد تكون العوائق أو المستعصيات العيانية داعية لوضع ما ينعكس على الذهن من أثر ذلك، فنتحول المستعصيات الواقعية إلى مستعصيات ذهنية، كما لو استعصت مدينة فيتحول الاستعصاء إلى مشكل ذهني يتغلب عليه ذهنياً ثم يجسد الحل في الواقع ويتوسط بحيلة هي تجسد الحل الذهني قد تكون آلة (مدفع) فيتغلب على المستعصي العياني.

وفي الحال السابقة يكون **الداعية هو الواقع بصورة مباشرة**. وقد يكون تجاوز العوائق والتغلب على المصاعب مبدؤه من الذهن؛ ففتفتح مسالك ذهنية جديدة وتتجاوز عوائق ويتغلب على مصاعب طبيعتها ذهنية، وفي هذا الشأن يكون الداعية هو الذهن، وقد تكون العودة بعد ذلك إلى المستعصيات والعوائق العيانية، فيتغلب على الأولى وتتجاوز الثانية بصنع آلات أو وضع خطط تقوم بالعمل عبر تحويل ما يقتضيه حل المشاكل الذهنية من التخطيطات المتوسطة بالأمور الصناعية التي يخطط لها أيضاً.

إلا أننا نضع أن للنفاذ في الأقطار الذهنية وتعبيد سبل العقول الغلبة على عالم الأعيان؛ فالوضع الذهني قد يجعل الواقع مجرداً من واقعته ومتصرفاً فيه ومتحكماً فيه فيعود الأمر والنهي لعالم الأذهان والبداهة منه.

إذا كان الأمر كما وضعناه سابقاً، فإن لكل هندام نفوذه وسرعه في النفاذ، ونتيجة هذا النفوذ تعمير الأرض بعبارة ابن خلدون ولكن أيضاً تدمير المعمر أحياناً أخرى؛ فللهندام فضيلة البناء ولكن فضيلة الهدم أيضاً. ويمكن أن تقاس قوة الهندام بالآثار الناتجة عن استجابة الإنسان لتحدي الواقع بمستعصياته وعوائقه ومآزقه، إلا أن هذا الواقع ليس واحداً، فلكل ثقافة صورتها الخاصة عنه، هذا إن اعتبرنا الأفراد المنتمين إلى ثقافة ما، وهم الذين يفترض حملهم تصورات مختلفة عن الواقع متحدين في حملهم لأمر مشترك عنه.

للهندام قوته ونفوذه وسرعه، ولكن ضعفه وبطؤه في النفاذ، وذلك ناتج عن أن الواقع متين، وللايغال فيه ثمنه الباهظ. إن الغلبة والخروج والتجاوز أمور إضافية، فقد يتغلب على بعض المصاعب ثم يواجه الإنسان

⁵ نفس المرجع، 869/2

مصاعب أكبر أو يخرج الإنسان من مآزق ليقع في مآزق أشد، ولنتذكر أن المآزق والمصاعب تعني العيانية وأيضاً الذهنية. ويتحدى الإنسان بما صنعه إنسان آخر فلا يستطيعه أو لا يستطيع النفاذ فيه كما لو بنيت أسوار لا يستطيع هندام البناء بناء مثلها ولا هندام الهدم نقبها. وقد يتحدى الإنسان بالواقع الطبيعي، فلا يستطيع صعود جبال أو عبور أنهار أو بحار أو تجاوز هوى.

يصير ذلك الهندام الذي جعل للنفوذ عاجزاً، ذلك أن لكل هندام مستعصياته، ولكن أيضاً ممتنعاته، قد تستعصي مدينة على هندام ولكن يمتنع عبور بحر دون آلات تتغلب على المصاعب كصعوبة الاهتداء وشدة الرياح وصعوبة تخطيط الانتقال. والحق أن الهمة التي تتركب هي العاجزة، ولكن إذا عجزت همة استطاعت همة أخرى، قد تصلح بعض مكونات الهندام القديم وقد ترمم وقد تجدد، ولكن أيضاً قد ينظر إلى الهندام القديم كله نظرة تعتبره عائقاً فيستبدل، فتستبدل آلات نظرية بأخرى، ويستتبع ذلك أو يصاحبه أو يسبقه استبدال آلات صناعية بأخرى.

ترتسم بسبب ما سبق حدود بين ما يستطيع وبين ما لا يستطيع، وترتسم هذه الحدود في عالم الأذهان وفي عالم الأعيان. فتبرز بسبب ما سبق أقطار للذهن وأقطار للواقع.

إن من سيخرجون قد لا يسألون هذا السؤال: هل إلى خروج من سبيل؟ وهو سؤال قد يسأله فرد وقد تسأله الجماعة، والخروج قد يتم دون أن يفطن الفرد أو الجماعة لذلك، ولكن الخروج قد يحصل فعلاً، وحين ننظر إلى الوراء يتبين لنا أن الخروج قد حصل بالفعل، وننظر إلى مآزقنا القديمة، وننتبه إلى مآزقنا الجديدة، فهل إلى خروج من سبيل؟ لن يسعفنا ماضيها لتقيس عليه كيفية الخروج؛ فالماضي يبدو بلا قوة حين تعصف عواصف هوجاء على لحظتنا الحاضرة.

(2) تشكل هندام المسلمين:

روح جديدة هي الروح الإسلامية، وجماعة استعملتها تلك الروح لتتجسد، وقد توفرت لتلك الجماعة الطاعة لو احد جسد تلك الروح كفاية، فاتجهت تلك الجماعة بقوة سهم في اتجاه يكاد لا يغير مساره، لهذه الجماعة أن تميز نفسها عن غيرها بالتزام أفرادها التزامات خاصة، وبإلزام غيرها من الجماعات بإلزامات خاصة داخل الدائرة نفسها، ذلك أن الدائرة الإسلامية احتضنت غير المسلمين، التزم أفرادها مثلاً بأداء الزكاة، وألزموا أفراد الجماعات الأخرى بالجزية والخراج. واحتاجت الأرض التي خلت للمسلمين إلى تعميمها، ولكن كيف والجسم الذي تجسدت فيه الروح الإسلامية لا يكافئ اتساع الأرض المفتوحة، خاصة وأن بعض من كان يعمر تلك الأرض جلا عنها، وكيف للأرض المفتوحة أن تظل كذلك فقد تعود وتنغلق. الانفتاح والانغلاق ليسا خاصين بالمسلمين، فكل روح جديدة أن تنفتح لها الأرض أو تنغلق برها أو بحرها، مستقبل تلك الروح أو مستديرة إياها؛ فاحتاج الأمر إلى شحن الأرض المنفتحة بالجند قصد الحراسة. وقد تحتاج الأرض المنفتحة إلى أن تزرع

فيها الروح بنقل بعض المسلمين إليها من المصدر، إلا أن تدمير بعض البلاد إسلامياً قد يكون بلا فائدة، أو قد يكون ثمنه باهظاً، مما يدفع إلى الإخلاء وهدم البناء كي لا ينتفع به العدو. تعاق الروح من الانتشار، عوائق هي إما إرادية أو طبيعية.

قد تفتح البلاد عنوة، فيحتل المسلمون البناء القديم ويأخذون ما كان في ملك الغير فيصير فيئاً، وقد تفتح البلاد صلحاً، فيحفظ للغير ملكه خاصة أن اختار دخول الدائرة، ويختار المسلمون غير الأرض المعمورة سابقاً من غيرهم ليعمروها⁽⁶⁾

الجماعة هي هدام الروح، والمدينة هي هدام الجماعة، كي تتسربل الروح تحتاج إلى جماعة، وكي تتسربل الجماعة تحتاج إلى هدام عمراني، لم يكن هدام المسلمين العمراني جاهزاً، ولذلك تم الحفاظ على شكل الهدام العمراني القديم، وعلى مكوناته كالحصون والقلاع والأسوار والخنادق، تشكل هدام المسلمين العمراني من المدن التي بناها غيرهم، فجددوا بناءها أو رموها، ومن المدن التي بناها هم (أمثلة، مدينة المصيصة) سواء في خلاء من الأرض أو في مكان ما هدموه مما كان مبنياً سابقاً، وقد كانت الحصيلة هي حفظ القديم وتجديده وترميمه وتحويل بعض وظائف مكوناته كتحويل بعض الكنائس إلى مساجد، ونواقيسها مثلاً إلى ثريات أو إلى هري، أو بناء جديد في صورة أقرب إلى ما اقتضته الروح الجديدة، وأجلى ما تتجسد فيه الروح الجديدة هو المسجد.

واحتاجت تلك الروح إلى استعمال ما صادف طريقها من الآلات لهدم ما يعترض انتشارها ولبناء هدام جديد يناسبها. لم يحتج تشكل الهدام في بدايات الزمن الإسلامي في جانبه الصناعي إلى زمن طويل، إذ احتاج تشكيل الدائرة الإسلامية إلى استخدام ما كان في المتناول القريب لتحقيق غاية توسيع تلك الدائرة، وقد استعمل الرسول (ص) المنجنيق والدبابة، في فتوح البلدان: "وسار رسول الله بالمسلمين حتى نزل الطائف فرمتهم ثقيف بالحجارة والنبيل ونصب رسول الله منجنيقاً على حصنهم وكانت مع المسلمين دبابة من جلود البقر فألقت عليها ثقيف سكك الحديد المحماة فأحرقتها فأصيب من تحتها من المسلمين"⁽⁷⁾

وحين يتعلق الأمر بعبور البحر، يستخدم ما كان جاهزاً من المراكب ريثما تصير صناعة المراكب مملوكة، وحين تورث الصناعة يحصل ما يحصل من الإصلاح والاستكمال.

⁶. جاء في كتاب رسول الله لأهل دومة الجندل "إن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الصامنة من النخل والمعين من المعمور... " البلاذري، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق حواشيه وأعد فهرسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، 1987، ص. 82. وفي فتوح البلدان أيضاً: " فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه وأن السمت(بن الأسود الكندي) قسم خططا بين المسلمين حتى نزلوها وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة مئروكة" ص 179

⁷. البلاذري، فتوح البلدان، مرجع سابق، ص 74

لا نخرج من مآزق، حتى نجد أنفسنا في أخرى، وما كان يظهر أنه قوة للهندام أخفى باطن العجز، السفن القديمة، إذ لم تستطع جواز البحر المحيط، عدته نهاية اليابسة.

وبعض الأمل تزرعه مكونات الهندام النظرية، ولكن الآلات النظرية هي الأخرى تتحول إلى عائق ومسوغ للعجز في الواقع، وقد رأينا أن الجزء المفترض نظرياً في الهندام الصناعي، وهو طبيعيات كالتي أسس لها أرسطو نظرياً عائق عاق تطور الصناعة.

إن ما يعتبره الإنسان بذهنه أوسع مما يلقاه في الواقع، يقع التفاعل الشديد بين ما يحس به الإنسان، وبين ما ينتج عن نظره بعقله. فتقلب الإنسان في الأرض ليس بمعزول عن تأثيره بما يحمله الإنسان من صور شاملة تتجاوز ما تقع عليه حواسه. لم يكن الهندام الصناعي بمعزل عن الآلات النظرية، ونذكر فيما يأتي باقي الآلات النظرية التي تفاعلت مع الآلات الصناعية لتمنح الهندام فعاليته وإيقاعه الخاص.

◆ النظرية الفلكية

ليس الأسطرلاب أو البوصلة المستعملان للتوجه من داخل السفن بمعزل عن النظرية الفلكية قديماً، وهي نظرية مركزية الأرض التي وضع أصولها بطليموس.

مثلت الأرض بالعنبة الطافية في الماء، ولذلك سمي البحر المحيط محيطاً، لأنه يحيط باليابسة، عجز الهندام عن استكشاف ما وراء البحر المحيط، فأقر على اعتباره النهائية، ومن كانوا في الضفة الأخرى أقروا الأمر نفسه، أخذ الجغرافيون المسلمون بقرار تقسيم الأرض سبعة أقاليم، منها المعتدل، ومنها غير المعتدل.

إن الأصل في الإنسان هو الاطلاع، وهندام (جسمه) الإنسان المتصف بالاستقامة مكنه من استشراق البعيد، وغير الإنسان هو الذي صفته أنه لم يخرج من الكهف، وغير الإنسان هو الذي صفته أنه مقمح؛ فلا يستطيع الالتفات ليدرك ما حواليه، وغير الإنسان هو الذي أغشي، فلا يبصر إلا إبصار من وضع سد بينه وبين الأشياء فلا يبصرها إلا إبصاراً مختلطاً. والإنسان هو الذي تحرر من الغشاوة ومن الإقماح، وهو الذي يطلع فيبصر الأفق. أما ما لم يبصره، فيتخيله. ولذلك، فهو مبدع صور للعالم، وهو أقصى ما يمكن تصوره من الحدود، إلا أن ما يضعه الإنسان من الصور، وما يتخيل من الدوائر التي يضع نفسه فيها تعود، فتجعله متصفاً بالغشاوة وبالإقماح، فيصير نفسه سجين الكهف، ويعود في حاجة إلى من يخرجها.

الهيمنة الإسلامية كشأن أي هيمنة احتاجت إلى معارف كلية؛ أي معارف تضع الأجزاء في كل أكبر منها حتى يعرف كيف يتوجه فيما يراد السيطرة عليه، كذلك حاجة السلطان إلى معرفة الممالك والمسالك، وتتحدد للمعارف النظرية وظيفة وضع الأمور في أعظام، حتى نصير إلى صورة الكل التي هي الأرض ثم الكون أو الفلك أو العالم، قد تكون الهيمنة الناتجة عن الحرب متعجلة في تصور مناظر كلية تسمح بالتحرك الحر في ما

بالبسيطة فهي تحتوي على جزيئات، وجزيئات المادة في الكائنات الحية لها خصوصياتها، مما يؤكد الحدث الكيفي الذي حدث في الوجود، للانتقال من عالم الجماد إلى عالم الحياة.

5) طبيعة الهدام الصناعي الحديث:

متأخراً يفتن الإنسان إلى طبيعة الهدام الحديث، ذلك أن طبيعته لا تكشف عن نفسها مرة واحدة، بل تحتجب لتكشف عن ماهيتها شيئاً فشيئاً، وما زال الكشف مستمراً، وإذا فطن الإنسان إلى الماهية بقي أن يحقق هذه الماهية في الأعيان، فتتطلق من جميع القيود التي تقيدها.

طبيعة الهدام الحديث تتجلى في أن الواقع لم يعد مطلقاً في استعصائه على الإنسان، لقد صارت الإرادة الإنسانية هي المطلق الذي لا يستعصي عليه شيء في الواقع؛ فلا الجبل ولا البحر ولا الفضاء مما يتغلب على الإنسان ويقهره. يحتاج الإنسان فقط إلى الزمن الذي يحتال فيه على الواقع لينفذ في ذلك الذي استعصى عليه، الأمر الذي جعل الإنسان الحديث نفسه في خدمته، يأمر بأن يبحث عن الرفع من الإمكان دائماً حتى يتمكن الإنسان مما لم يتمكن منه سابقاً... اعمل دائماً حتى يرتفع عدد الممكنات، كما قال فون فورستر⁽¹⁶⁾ Von Foerster

لنقل إن النفاذ في الأشياء صار صيغة هذا الزمان، حتى الأشياء التي تبدو أنها مستعصية ليست تستعصي عليه إلا مؤقتاً، إذ ينسحب الإنسان قصد التفكير في حيلة فيستعمل تلك الحيلة للنفاذ. ولا يستلزم ما سبق أن الأشياء كلها صارت منفذاً له، ذلك أن الكثير من القوى الطبيعية قد تعود لتفاجئه ثانية، وتذكره بعدم تجاوزها المطلق. وما زال الموت (موت الفرد) يحتفظ بإطلاقه إذ احتفظ بعدم نفوذته، إلا أن الإنسان يفكر بجد أكبر في حيل الحفاظ على حياة النوع إن صارت شروط الحياة على الأرض مستحيلة، ذلك أمر ممكن إن اصطنع تلك الشروط في مكان غير الأرض، فلن تصير الأرض بذلك الشرط الأصلي للحياة. وهذا ما يبدو أن الإنسان ينجزه في رحلات خارج الأرض في فضاءات ليست أمكنة تمكنه من العيش الطبيعي، إذ تنتقي فيها شروط الحياة الطبيعية، فيستبدل بها الإنسان شروط حياة اصطناعية.

يستمد الهدام الحديث طبيعته من طبيعة العهد الذي أخذه الإنسان على نفسه ومضمونه ألا ينتهي الإنسان إلى غاية ما، إذ كلما استخرج آلات نافذة طلب غيرها متى تبين له ضعف نفاذ الأولى، وهو لا ينفك يفترض الأفضل آخذاً بعين الاعتبار اعتبارات جديدة، ولما انتبه الإنسان إلى أنه في اتصاله بما يحيط به خارج بطن أمه كاتصاله بها وهو في بطنها، أدخل معايير جديدة في صناعاته، تأخذ بعين الاعتبار عدم إفساد محيطه الذي

¹⁶ Agis toujours en sorte que le nombre de possibilités augmente, cité par Sloterdijk Peter, in Sphères III, traduit de l'allemand par Olivier Mannoni, Maren Sell Editions, 2005, p. 651

يستمد منه الحياة، وهو خزان جديد من الاعتبارات التي يراعيها لإتقان آياته، فقد صار للحسن ميزان جديد يكاد يقطع مع المعايير القديمة.

(6) مسألة الخلاص:

مثل الإنسانية كمثل الفراش لا يردعه الاحتراق عن معاودة طلب النفاذ ثانية فيما يتمتع النفاذ فيه إلا بثمن الفناء. يتوهم الفراش النار نوراً سببه وجود الوراء، أو يظنها "كوة منفرجة إلى فضاء نير"، كذلك الإنسان محاط بظلام السر، والأمم الإنسانية بمنزلة الفراش الذي يتهافت في النار شغفاً بالخروج، إما أن يحترق الإنسان فيموت السر معه، وإما أن يعاود ظناً منه أنه أخطأ المنفذ. الإنسان كالفرش فاقد لخزانة الحس المشترك "وهي الروح الخيالي المستثبت بما يؤديه إليه الحس، من صورة الألم والراحة وغيرهما من مستودع المحسوسات والخازن لها، إذ لو كان له من ذلك الروح حظ لما عادت إليه أو هامه بعد ما آلمته، لبقاء صورة المكروه في خزائنه الخيالية"⁽¹⁷⁾ ذلك أمر مقضي أن يطلب الإنسان دائماً النفاذ في السر والسر هو الموت، حتى ولو أن الأوهام سلطت عليه لتجعله يعجز عن الخروج من المأزق الأكبر، وهو وجوده في صورة الكائن الذي فطن إلى ما يحيط به من ظلام البداية وظلام النهاية، والنار هي الوجود المتفرع عن الوجود الأصلي، والنور هو أصل الخلاص من العدم والعودة إلى أصل الوجود الذي تستمد منه النار نورها، والنار مزيج العدم والوجود.

لكل أمة صورتها للخلاص والخروج، أي صورة لكيفية النفاذ في السر، أو لكيفية الخروج إلى الفضاء المضيء المخلص من الوجود الممزوج بالعدم. ولهذه الصورة انعكاس على صورة الشريعة المتبعة.

وجود الإنسان خلاص من مأزق العدم، إلا أن الإنسان يفطن إلى أن الوجود ذاته مأزق، إذ هو محاط بظلام البداية وبظلام النهاية، ويطلب الإنسان من أجل ذلك الخلاص، والخلاص قد يكون للخلاص من صورة للخلاص سابقة فطن إلى بطلانها.

ترتبط صورة الخروج من المأزق العيانية بصورة الخروج من مأزق الوجود؛ فالخروج من الأمكنة الضيقة، ونأخذ الأمثلة الآتية:

• **صورة الخروج الإسلامية؛** فصورة الخروج من مضايق الوجود الممتزج بالعدم، وهو المسمى بالحياة الدنيا، استتبع الخروج من مضايق جزيرة العرب وتوسيع الدائرة والتخلص من المأزق العيانية.

¹⁷. يقول الخوارزمي في شرحه لببيت المعري الوارد في سقط الزند، وهو: بدا فدعا الفراش بناظريه كما تدعوه موقنتا ظلام

يقول: "الفراش إذا رأى ظلام الليل نارا موقدة، ظنها كوة منفرجة إلى فضاء نير، فقصدها لينفذ فيها، فتهافت في النار. وربما لا يحترق فيصيبه وهجها، فينفلت منها، ثم يظن أنه قد أخطأ الكوة، فيعاودها لشغفه بالضياء مرة ثانية. قالوا: ومعاودته النار بعد تألمه بها دليل على فقدان خزانة الحس المشترك، وهي الروح الخيالي المستثبت بما يؤديه إليه الحس، من صورة الألم والراحة وغيرهما من مستودع المحسوسات والخازن لها، إذ لو كان له من ذلك الروح حظ لما عاد إلى النار بعدما آلمته، لبقاء صورة المكروه في خزائنه الخيالية. ألا ترى أن الكلب إذا ضرب مرة بخشبة، ثم رأى الخشبة قد رفعت له، ولو من بعيد، هرب منها" الخوارزمي، شروح سقط الزند، تحقيق الأستاذة: مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري، القسم الرابع، الطبعة الرابعة، 1423 هـ - 2002، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ص 1436

المصادر المعتمدة:

* المصادر العربية:

1. البلاذري، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق حواشيه وأعد فهرسه وقدم له عبدالله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، 1987
2. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة، 2004
3. الخوارزمي، شروح سقط الزند، تحقيق الأساتذة: مصطفى السقا وعبدالرحيم محمود وعبدالسلام هارون وإبراهيم الأبياري، القسم الرابع، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، 1423 هـ - 2002 م.
4. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، 1423 هـ - 2002 م.

* المصادر الأجنبية:

1. Sloterdijk Peter, Sphères III, traduit de l'allemand par Olivier Mannoni, Maren Sell Editions, 2005
2. Pierre Clastres, La société contre l'Etat, Recherches d'Anthropologie politique, Les Editions de Minuit, 1974
3. Oswald Spengler, Le déclin de l'occident, Esquisse d'une morphologie de l'histoire universelle, Première partie, Forme et réalité, Traduit de l'allemand par M.Tazerout, Editions Gallimard, 1976



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com